بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونستغفره ، ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنفسنا، وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًاﷺ عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

ثم أما بعد....

فهذا هو اللقاء الأول بفضل الله جل وعلا في هذه الأربعين المباركة، نسأل الله جل وعلا أن تكون خالصة لوجهه،

وأن يُتمها علينا وأن نستفيد منها علماً وعملاً ودعوة، وأن نصبر على ذلك كله، فإن من تَحلى بذلك فهو المُوفق، نسأل الله جل وعلا أن نكون منهم.

الحديث الأول

عن أبي حفصٍ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى فمَن كانَت هجرتُهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ فَهجرتُهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ ومن كانت هجرتُهُ لدنيا يُصيبُها أوِ إمرأةٍ يَنكِحُها فهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليْهِ"

الراوي:عمر بن الخطاب المحدث:البخاري – المصدر:صحيح البخاري– الصفحة أو الرقم: ٥٤ خلاصة حكم المحدث:[صحيح]

هذا الحديث افتتح به المُصنف كتابه، ولا شك أن البخاري رحمه الله تعالى افتتح به صحيحه،

وهذا الحديث عظيم الشأن، وعظيم النفع لمن تدبره فعمل به، ولذلك فهو قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعد هذا الدين، وكما سنرى أنه قاعدة يُستفاد منها في أبواب كثيرةٍ من أبواب العلم وأبواب الفقه.

فقال عبد الرحمن ابن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنّف كتابًا أن يبدأ فيه بهذا الحديث.

لماذا ينبغي؟

قالوا: تنبيهاً لطالب العلم على تصحيح نيتهُ.

لابد أن تُصحح نيتك، ولذلك ينبغي أن تعلم أن هذا العلم إنما هو عبادة، فينبغي أن تكون وجهتك لله جل وعلا،

خالصةً لا تشبوها شائبة.

ولذلك قال: ينبغي أن يُبدأ بهذا الحديث في كل تصنيف من تصنيفات أهل العلم.

والإمام أحمد رحمه الله تعالى، ويؤثر أيضاً عن الشافعي، أنهما قالا: مدارُ أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث منها حديث عمر "إنَّماالأعمالُ بالنِّيَّاتِ.."

والشافعي رحمه الله قال أن هذا الحديث هو ثُلث الإسلام، وقيل هو رُبع الإسلام، وقيل أيضاً إنه يدخل في سبعين باباً من الفقه.

يعني لو أنك راجعت أبواب الفقه لوجدت أن هذا الحديث يدخل في سبعين بابًا من أبوابه.

راوي الحديث

راوي الحديث الذي معنا هو: أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأبو حفص: هذه كنيته، والكنية هي ما يبدأ بأبٍ أو أم،

فتقول أبو فلان أو أم فلان أو أم فلانة، أبو فلانة،

المهم أنها كُنية.

والكُنية أيضاً قسم من أقسام الاسم،

فكنيته أبو حفص.

فما معنى أبو حفص؟ ولماذا كُني بهذه الكُنية؟

أولاً: ذُكر أن النبي ﷺ هو الذي كنّاه بذلك،

وذلك لشدته وقوته في الحق.

الحفصُ هو الشبل، أو ولد الأسد،

فيكون معنى أبو حفص: الأسد.

فسُمي أو كُني بذلك: لشدته وقوته في الحق رضي الله عنه،

فهو الفاروق الذي فرّق الله جل وعلا به بين الحق وبين الباطل.

ويُسمى عمر بن الخطاب ابن نُفيل ويجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ في كعب بن لؤي.

وأسلم عمر رضي الله عنه في السنة السادسة من النبوة، وقيل في السنة الخامسة، وتُوفي شهيدًا رضي الله عنه في سنة ثلاثٍ وعشرين من الهجرة.

فتجد أن كثيراً من الصحابة نقول أسلم في سنةِ كذا،

ولا نعرف له تاريخ مولد، وذلك لأن بعضهم وأكثر الصحابة لم يُولد في الإسلام، فلم نعرف التاريخ لميلادهم.

ولذلك يُقال: أسلم في غزوة كذا، أو في سنة كذا،

ولكن لا يُذكر بداية مولده.

يقول رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ:

[أما الصلاةُ على النبي ﷺ (أن تقول: صلى الله عليه وسلم)،

فالصلاة على أرجح أقوال أهل العلم هي الثناءُ من الله جل وعلا على نبيه في الملأ الأعلى وهذا قول أبي العالية ورواه عنه البخاري في صحيحه، والثناء أن يذكر صفاته الحسنة، وهذا من الله جل وعلا منةٌ

وفضل، وأي كرامة أن يذكر الله جل وعلا الملك، عبده ويُثني عليه في الملأ.

فصلى الله عليه أي أثنى عليه في الملأ الأعلى.

ﷺ: وسلم إما تُحمل على التسليم،

فسلام الله جل وعلا عليه، وتُحمل على معنى آخر وهي سلاماته ﷺ،

أي وسلّمه من كل شرٍ قد يقع به.

فيُسلّمه في الحياه كما قال الله جل وعلا {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر:٩٥]

ويُسلّم سنته فلا يدخلها التحريف ولا التبديل، ويُهيىء الله جل وعلا لها الجهابذة الذين يدفعون عنها ما ليس منها،

وبعد موته يحفظ بدنه ويسلمه،

فلا يُوصل إليه باعتداءٍ كما أراد بعض الكفار أن يفعلوا بقبره وبجسده ﷺ].

شرح الحديث

يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى» هذا الحديث ورد بألفاظٍ أخرى، منها ((إنما الأعمال بالنية))، ((إنما العمل بالنية))

وهو في الصحيحين على الإفراد،

وكلها معانيها واحدة والفروق بينها لفظية فقط،

ولكن المعنى واحد والمفهوم واحد.

يقول "إنما الأعمال بالنيات"

ما المقصود بالأعمال؟

المقصود بالأعمال: يتحدد إذا علمنا أن أهل العلم قد اختلفوا فيما هو المُضاف المَحذوف.

يعني كلمة الأعمال مُضاف إليه، أين المضاف؟

قالوا مَحذوف.

ما هو تقديره؟

هنا وقع الاختلاف في تقديره، وبناءاً على هذا الاختلاف سيقع الخلاف في: ما المقصود بالأعمال بالنيات؟

النبي ﷺ يقول "إنما الأعمال بالنيات"،

ما هو المقصود بهذه الأعمال؟

قالوا: الأعمال وقعت مُضاف إليه،

وها هنا مُضاف مَحذوف، على أساس تقدير المُضاف المَحذوف

سنبين ما هي الأعمال المقصورة.

الفريق الأول من أهل العلم قالوا: أن المُضاف المَحذوف هو كلمة "وقوع أو كلمة إيجاد"،

ويكون بناءاً على ذلك قول النبي ﷺ "إنما الأعمال بالنيات"،

معناه إنما وقوعُ الأعمال بالنيات .

أو إنما إيجادُ الأعمال بالنيات.

يعني أن كل عمل سبب وقوعه وسبب إيجاده أن هناك نيةٌ لصاحبه في ذلك.

لأن كلمة بالنيات الباء هنا للسببية.

يعني سبب إيجاد أو وقوع الأعمال إنما هو النية، القصد، الإرادة،

وعلى ذلك تكون الألف واللام في الأعمال للاستغراق أو العموم.

ويكون معنى الكلام : إنما وقوعُ أو إيجاد كل الأعمال بسبب النية.

بُناءاً على ذلك، ما المقصود بالأعمال؟

الأعمال: كُل الأعمال،

كل الأعمال أي: إذا كانت أعمال تعبدية أو أعمال ليست على سبيل التعبد وهي الأعمال المُباحة أو غيرها.

إذن كل عمل سبب إيجاده أو سبب وُقوعه إنما هو النية،

وهذا هو القول الأول، وهذا ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية،

ومن المُعاصرين الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليهما وعلى أهلهم أجمعين.

فكل عمل يصدر من عاقل مُختار له قصدٌ وإرادة إنما يكون بنية.

يعني مثلاً أنت أتيت الآن إلى المسجد هل كان لك قصدٌ وإرادة أم لا؟

نعم، إذن وقوع هذا العمل كان سببه أن الله جل وعلا وفقك لأن يكون لك نية وقصد في أن تأتي إلى المسجد.

وهنا كما قلت الأعمال تُفيد الاستغراق وتُفيد العموم أي :كل الأعمال سببها إيجاد النية.

ولذلك عندنا حديث (وإن كان في إسناده مقال) وهو حديث أبو وهب الجشمي أن النبي ﷺ وفيه لفظةٌ صحيحة قال :

"أَحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ وعبدُ الرحمنِ، وأصدقُها حارثٌ وهمامٌ ، وأقبحُها حربٌ ومُرَّةٌ"

الراوي:أبو وهب الجشمي المحدث:الألباني - المصدر:صحيح الترغيب- الصفحة أو الرقم:١٩٧٧ خلاصة حكم المحدث:حسن لغيره

لماذا حارثٌ وهمامٌ؟

لأنها تصدق على كل إنسان، فالإنسان إما أنه حارث ومُحصّل يريد أن يُحصّل أشياءاً، وأنه همام أي له همة، فما من إنسان بالغ عاقل إلا وله همة ونية يفعل بها.

ولذلك قيل أن أصدق الأسماء حارث وهمام، لأن ما من إنسان له عقلٌ واختيار إلا فيه هاتان الصفتان حارثٌ يجمع ويُحصّل، وهمام له همة وهم يشغله، ولذلك هذه تصدق،

معنى أصدق أي تصدُق على الإنسان،

ويصدق وصفه بهما.

القول الثاني وهو أن المُضاف المحذوف هنا كلمة "صحة أو قبول"،

ويكون معنى الكلام :

إنما صحة الأعمال بالنيات

أو إنما قبول الأعمال بالنيات.

أي قبول الأعمال وصحتها سببه صلاح النية،

فإذا فسدت النية كان ذلك سبباً في عدم صحة العمل،

فإذا صحت النية قبُل العمل، وإذا فسدت النية لم يصح العمل ولم يُقبل.

ما هي الأعمال التي تصح وتُقبل؟

هل هي كل الأعمال؟

أم أنها التعبدية فقط؟

التعبدية: ولكن سنضع بجوارها قيد مهم :

التعبدية التي يُشترط لها النيّة

وهذا مهم جداً فهمه وإدراك الفرق بين القولين،

وطبعاً القول الأول جعل الأعمال كلها،

وسيأتينا في أخر الحديث " لِكل امرئٍ ما نوى"

يغني أن نأخذ بالقول الثاني في بداية الحديث،

إنما نرجع مرة أخرى ونقول أنه القول الثاني صحة العمل وقبول العمل متوقف بسبب النية، وإذا صحت النية صحّ العمل، وإذا فسدت النية فسد العمل، وذلك في الأمور التعبدية التي يُشترط لها النية.

يعني مثلاً أنت أتيت إلى المعهد الأن،

لماذا أتيت؟

لكي تتعلم وتعمل وتدعو إلى الله عز وجل بما تعلمته وبما عملت به.

أنت أتيت والعياذ بالله إلى المعهد لكي يُقال لك طالب علم، أو يُشار إليك بالبنان وكذا!!!!

إذن النية ستكون هنا مُرجحة إما في صحة العمل وقبوله،

وإما في فساده والعياذ بالله.

نحن قُلنا هنا الأعمال التعبدية التي يُشترط لها النية،

فهل هناك أعمال من العبادة لا يُشترط لها النية؟

نقول: نعم، فبعض الأعمال لا يُشترط فيها النية،

كــرد المظالم: لا يشترط في ردها النية.

فمثلاً إنسان اغتصب منك قلمك، هذه مظلمة،

فأتينا وقلنا هذا قلم فلان، ثم أعطيناك قلمك،

فرُدّت بذلك المظلمة.

فهل كان لهذا الشخص المُغتصب نيةً في ردها؟

لا، ولكن صحّ العمل، ولكن هذا الشخص لا يُؤجر وقد يَأثم بعدم نيته الخير في رد ذلك، إنما العمل وقع صحيحاً.

مثال آخر مسألة إزالة النجاسة،

إنسان على بدنه أو على ثوبه أو في بقعته التي سيصلي عليها نجاسة، فأتى بماء وأزال النجاسة، أزال عينها، ورائحتها ذهبت، ووصفها ذهب، ولونها ذهب فأصبح المكان طاهراً، ولكنه لم ينتوي التَعبد بذلك،

هل نقول لا، أرجع النجاسة مرة أخرى لكي يكون لك نية؟

نقول: لا

المهم أنها زالت، فإذن إزالتها هذه صحيحة،

إنما أنت لم تُؤجر عليها.

لماذا لم تؤجر؟

لأنك لم تكن لديك نية التعبد.

فمثلاً نتخيل أن إنسان لم يشرب الخمر،

فسألناه لماذا تركت شرب الخمر؟

فقال تركت شرب الخمر لأنني أريد أن أتعافى،

هل هذا يُؤجر؟

لا، مع أنه ترك، فتركُه صحيح ولكن لم يُؤجر ولم يُثاب لأن شرط الإثابة أنه يكون قد تركها إمتثالاً.

يعني أنا تركتها لله.

واحد يُدخن، فلم يتركها حتى قالوا له الأطباء ستموت إن شربت الدخان، فترك شُربها لخوفه من الموت،

لكنه لم يتركها بنية التعبد بإمتثال الأمر أو بإجتناب النهي.

فهنا لم يُثاب عليها، إنما فعله لها صحيح ولكن لا يُثاب عليه إلا إذا نوى.

هناك تقسيم آخر لمسألة النيات

العلماء يُقسمون النية إلى:

القسم الأول: نيةٌ مُتجهةٌ إلى المعبود.

القسم الثاني: نيةٌ مُتجهةٌ إلى العبادة.

النية المُتجهة إلى المعبود: هي نية زائدة عن النية التي يقع بها العمل، وهي ما يسمى في علم العقائد: بالإخلاص.

وذلك بعض الناس يقولون: لابد أن يكون لك نية صالحة، أن تكون مُخلصاً، فهذه نية مُتجهة إلى المعبود.

وهذه النية لابد أن تكون خالصةً لله جل وعلا.

فإن الله جل وعلا لا يَقبل إلا العمل الذي هو خالصٌ لوجهه.

ولذلك ثبت في الحديث أن الله جل وعلا قال:

" أنا أغنَى الشُركاءِ عن الشركِ . مَن عمِل عملًا أشرك معِي فيه غيرِي ، تركتُه وشركُه"

الراوي:أبو هريرةالمحدث:مسلم – المصدر:صحيح مسلم– الصفحة أو الرقم:٢٩٨٥ خلاصة حكم المحدث:صحيح

إذن كل عمل لابد أن يكون فيه هذه النية المتجهة إلى المعبود بالإخلاص، أن تُصفي العمل من كل شائبةٍ ودخيلةٍ لغير الله جل وعلا فيها.

وهذه النية المُتجهة إلى المعبود لم تُذكر في القرآن بهذا الاسم، إنما ذُكرت بألفاظ أخرى.

منها لفظ: الابتغاء كما في قوله تعالى:

{إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ }[الليل:٢٠-٢١]

وذُكرت بلفظ الإرادة، بإرادة وجه الله:

{يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...}[الأنعام:٥٢]

أي نيتهم خالصة لله جل وعلا صفوها من كل شائبة إلا لما يُراد به وجه الله جل وعلا.

فإذن هذه هي النية الأول المُصححة، ولذلك في كل عمل عليك أن توجهه لله جل وعلا، إنما تُريد به وجه الله جل وعلا وما عنده من ثواب.

ودع عنك كل الناس فإن الناس لا يملكون لك لا ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشورا.

ولذلك قال الله جل وعلا: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان:٥٨]

فالله جل وعلا يقول لك: توكّل أي إعتمد بقلبك وأصدق اللجوء له سبحانه وتعالى، مع أخذك بالأسباب التي شرعها الله جل وعلا، واعلم أنه لا يدفع عنك الضر ولا يجلب لك النفع إلا هو سبحانه

وتعالى.

وبيّن أن غير الله جل وعلا لا يملك لنفسه شيئاً لأنه يموت،

ولذلك قال {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ}،

أما غيره فإنه يموت، فلا تتوكل عليه ولا تعقد خنصراً عليه،

ولا تعزم بقلبك على إرادته، إنما تريد وجه الله جل وعلا بكل عملٍ تقصده.

أما النية المتجهة إلى العبادة: فإنها نية تُحدد وتُفصّل أنواع العبادات.

فمثلاً لو أن رجلاً صلى العشاء أربع ركعات،

ثم صلى بعدها قيام الليل صلى أربع ركعات،

ما الذي سيميز هذه الأربعة من هذه الأربعة؟

النية، فهذه نية الفريضة، نوى أن هذه فريضة، والنية المقصود بها هنا: العلم،

أنه علم أن يصلي الفرض.

والأخرى يُصلي قياماً، نافلة أو مُستحب.

فإذن النية تميز بين العبادات، فتميز بين فريضة والنافلة.

كذلك أيضاً تُميز بين ما هو عبادة وبين ما هو عادة،

رجل ذهب إلى بيته ومع الحر الشديد دخل فإغتسل،

ألقى وعمم بدنه بالماء، وتعميم البدن بالماء هذا هو الغُسل،

فهل الغُسل عبادة أم عادة؟

الذي سيميز هنا هو النية، إن قصد رفع الحدث للصلاة ونحوها تكون عبادة، وإن قصد به التبرّد سيكون عادة.

أنت تنام وهذه سنة من السنن الكونية،

نومك هذا عبادة أم عادة؟

النية تميزه، فإن نمت تقصد بذلك التقوي لتقوم الليل أو لتُدرك صلاة الفجر فنومك عبادة، وإذا نمت من أجل أنك مُتعب وتستريح وفقط فنومك عادة لا أجر فيه.

فهي أيضاً تُميز وتُفصل.

ولذلك كثيراً ما يُقال "النية تجارة العلماء"

ومعاذ رضي الله عنه يقول: "إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي"

فكلاهما مُحتسب، لأنه ينتوي بالمُباحات أنه يُطيع الله جل وعلا فلذلك يُثاب.

أنت في عملك ولابد أن تعمل إذا غيّرت نيتك،

أنني هنا لأخدم المُسلمين، ولأدخل السرور عليهم، لكي أنفعهم، لكي أدعو إلى الله جل وعلا من خلال عملي الذي أنا فيه.

هذه كلها نيات تجعل العادة تتحول إلى عبادة،

وتكون العبادة شاملة لكل أركان حياتنا.

أنت تأكل لا للأكل، ولكن لتتقوى على العبادة.

وهكذا، تفعل كل شيء حتى ولو كان عادة منتوياً به نوعاً من أنواع العبادة، فيكون بذلك محسوباً لك عبادة، فتتحول حياتنا كلنا بفضل الله جل وعلا إلى عبادة، بفضل الله تعالى وبتوفيقه إلى هذه النية الصالحة.

قال (وإنما لكل امرىءٍ ما نوى):

واللام في (لكل) لامُ المِلك، كما في قوله تعالى

{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ} [النجم:٣٩]

أي لا يملك، ولا يُحصّل إلا ما سعاه وفعله، كذلك هنا

(وإنما لكل امرىءٍ ما نوى) أي كل امرىءٍ يملك أجره من العمل على قدر نيته، فإذا نوى نية صحيحة كان العملُ صحيحًا وإذا كان العملُ صحيحًا، ونوى نية عظيمة كان الأجرُ على قدر هذه النية العظيمة،

فكلما عظمت النية عظم الأجر، وكلما ضعفت النية كلما ضَعُفَ الأجر والعمل.

"وإنما لكل امرىءٍ ما نوى"

قيل أن المعنى هنا هو المعنى الثاني للتأويل الثاني في: إنما الأعمال بالنيات.

"وإنما لكل امرىءٍ ما نوى"

أي صحة عمله وقبوله موقوفٌ على نيته في الأعمال التي يُشترط لها النية، وسبق معنا قول الله جل وعلا " أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ"

ثم قال النبي ﷺ: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله .."

هنا النبي ﷺ أسس معنى عاماً وهو:

أن النية في الأعمال: إنما تصح وتُقبل بسببها،

فإذا كانت صحيحة قُبل العمل،

وإن كانت فاسدة لم يُقبل العمل.

ثم انتقل النبي ﷺ في آخر الحديث إلى ضرب المثل، فأتى بشيء عبادي وهو: الهجرة، ثم بيّن أن الناس يدفعهم إلى الهجرة دوافع،

نيّاتهم مُتغيرة، فذكر الأول فقال "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله .."

الهجرة بمعنى الترك والانتقال،

نقول: هجر بلده أي انتقل منها إلى غيرها.

وهي تطلق على الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان، من دار المعصية إلى دار الطاعة،

وهناك هجرة عامةٌ وهي: الهجرة من المعاصي إلى الطاعات، كما قال النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر:

"...والمُهاجر من هجر ما نهى الله عنه"

[الراوي: عبدالله بن عمرو المحدث: البخاري – المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم: ٦٤٨٤خلاصة حكم المحدث: صحيح]

إذا انتقلت مما نهى الله عنه فأنت مُهاجر،

هل هذه الهجرة انقطعت؟

هذه الهجرة لم تنقطع، فهي مُستمرة حينما تنتقل من المعصية إلى الطاعة فأنت مُهاجر وفي جهاد،

وأنت تُعلي كلمة الله جل وعلا،

أنت تُؤصل لتأسيس دين الله جل وعلا،

أنت لبنة صالحة، فلا تُقلل من هذه المسألة فهي الهجرة،

لأن الدوافع من حولك تدفعك إلى المعصية،

وأنت تقاوم هواك وتقاوم نفسك الأمارة وتقوّم شيطانك وتهجر هذه المعصية إلى طاعة الله جل وعلا،

وهذه الهجرة كما قلت التي لا تنقطع.

الهجرة الأولى نسبية فقد تنقطع عن أماكن دون أخرى،

فمثلاً النبي ﷺ هاجر من مكة إلى المدينة، وقال بعد ذلك لا هجرة بعد الفتح، أي لا هجرة من مكة بعد فتحها، لماذا؟

لأنها صارت دار إسلام، والقاعدة تقول: أن الدور والناس إنما وَصفُهم بالإيمان والطاعة والصلاح بحسب ما هم فيه من طاعة وإصلاح،

وإلا قد تتبدل الأمور، يعني مكة كانت دار كفر، بعد الفتح أصبحت دار إسلام، فتحول الحُكم.

أرض الشام أيضاً من أفضل الأماكن المُباركة التي باركها الله جل وعلا، ولكن قد ينتشر فيها الفسق ،

فقال الله في شأنها: {سَأُرِيْكُمْ دَارَ الْفَاسِقِيْنَ} [الأعراف:١٤٥]،

فسمّاها دار الفاسقين.

فإذن هذه الأمور أمورٌ نسبية، قد تعلو هذه المسائل وقد تنخفض في زمان أو في مكان أو في أشخاص، فهذه أمور متغيرة.

يقول النبي ﷺ "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"

هنا تُلاحظ أن هنا اسم شرط، وهناك فعلٌ للشرط، وجوابٌ للشرط،

"من" هذا اسم الشرط.

" كانت هجرته إلى الله ورسوله" هذه جملة فعل الشرط.

" فهجرته إلى الله ورسوله" جواب الشرط.

فهل هذا تكرار؟

ولماذا كرر النبي ﷺ هذه الجملة مرةً أخرى؟

نقول أولاً هناك قاعدة عند أهل العلم:

(أن الأصل في الكلام التأسيس لا التأكيد)

التأسيس: أي تأسيس معنى جديد، وليس للتأكيد، هذا الأصل في الكلام.

إذا كان الأصل كذلك نقول أن أهل العلم يقولون أن الأصل في التغاير

قد يقع تارةً باللفظ، وقد يقع تارةً بالمعنى ويُفهم ذلك من السياق.

ومعنى هذا الكلام مثلاً أقول لك: "إذا صمت يوم الإثنين القادم فقد صمت"

هل أنا كررت؟ كررت اللفظ.

ولكن هل أنا كررت المعنى؟

أقول لا، معنى كلامي أن يوم الإثنين القادم هو يومٌ صيامه سنه، والذي يصوم السنن في هذه الأيام مع شدة الفتن أجره أعلى،

فأقول لك: إذا صمت يوم الإثنين القادم فقد صمت،

أي أنت الصائم الحقيقي مع كل دواعي هذه الأشياء أنت قد صمت.

أقول لك " إذا صليت القيام يوم الأحد القادم فأنت قد قُمت"

لماذا لأنه سيكون هناك مباراة مثلاً والناس كلها مشغولة بها وأنت ستقوم وتترك كل هذا، فأنت القائم حقاً، لأنك قمت بمرحلة مجاهدة كبيرة وهجرة عظيمة، فتركت كل هذا اللهو وانطلقت إلى العبادة.

هذا معنى كلام النبي ﷺ.

والعلماء أوّلوا الكلام فقالوا :

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً، وقصدًا (هذا فعل الشرط، أو

جملة الشرط) فهجرته إلى الله ورسوله حكمًا وشرعًا.

هذه هي الهجرة الشرعية التي يُثاب عليها،

ولذلك بعضهم قال: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً، وقصدًا فهجرته إلى الله ورسوله ثوابًا وأجرًا.

فلماذا لم يقل النبي ﷺ ثواباً وأجراً وأظهر هذه؟

لكي يقول لك: أنت إذا هاجرت إلى الله ورسوله فأنت المُهاجر على الحقيقة.

أنت المُهاجر الذي تُحصّل ثواب الهجرة التي سيعطيها الله جل وعلا لك، وأعظم به من أجر.

فهذا معنى الكلام.

إذن هناك تشابه في اللفظ نعم، ولكن هناك تغاير في المعنى.

لماذا التغاير في المعنى؟

لكي يُثبت هذا المعنى، وهو الكمال والامتلاء.

فعندما أقول أنت الصائم، أنت القائم، أنت المهاجر، فهذا معناه أنك استوعبت هذا الاسم بكثرة، ولذلك يكون الثواب عليها أيضاً بكثرة.

يقول (...فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله)،

والنبي ﷺ يقول:

"لا هجرةَ بعدَ الفتحِ، ولكن جهادٌ ونِيَّةٌ، وإذا استُنفِرْتُم فانفِروا".

[الراوي :عبدالله بن عباس المحدث :البخاري –المصدر :صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم 2825 :خلاصة حكم المحدث:صحيح]

المقصود بـ لا هجرةَ بعدَ الفتحِ المقصود بها أن بعد فتح مكة لأنها أصبحت وصارت دار إسلام.

الهجرة لها ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الهجرة الواجبة: يعني يجب أن يُهاجر، وصور ذلك:

الصورة الأولى: في حق من يقدر عليها، أي على الهجرة.

الصورة الثانية: لا يمكنه إظهار دينه لوجوده بين الكفار.

هذا إنسان موجود في بلد من بلاد الكفر وهو لا يستطيع أن يُقيم شعائر دينه، ولا أن يُظهر دينه، فهو بينهم كالذمي بين المسلمين،

بل أفظع، لأنه لا يستطيع أن يُظهر شعائر دينه ولا حتى أن يتستر بها.

هذا الشخص نقول له: يجب عليك أن تُهاجر،

فالهجرة في حقك واجبة، لماذا؟

حتى تُكثّر سواد المسلمين، ولا تُكثّر سواد الكافرين،

وتقيم دينك لأن حفظ الدين من الضرورات التي تُقدّم على حفظ أي شيء.

فإن لم يُهاجر؟

آثم، والعياذ بالله، ووقع في موالات المُحرم، والعياذ بالله.

القسم الثاني: من لا هجرة عليه.

وهذا الشخص الذي لا هجرة عليه، هو الشخص العاجز عن الهجرة،

إما لمرض، أو لإكراه، مُكره، لا يستطيع أن يُهاجر ولا يُسافر،

أو إنه ضعيف كالنساء والأولاد الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا.

فهؤلاء عجزة،

إنسان مريض لا يستطيع أن يُسافر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام

هل نقول أنه يجب عليه الهجرة؟

لا، نقول ليس عليه هجرة.

يُستحب في حقه الهجرة؟

نقول:حتى لا تُستحب عليه الهجرة، هناك قاعدة تقول:

العاجز لا يُوصف فعله بوجوب ولا باستحباب

صور العجز كما قلت مرض شديد يُقعده لا يستطيع الانتقال،

كذلك أيضاً الضعف في الخِلقة كالنساء والأولاد لا يستطيعون أن يسافروا وحدهم، كذلك أيضاً الإكراه،

فمثلاً إنسان أراد أن يسافر فأمسكوه وسجنوه فهذا مُكره،

أو قالوا له لو رأيناك لقتلناك مثلاً في المكان الفلاني،

فهذا أيضاً لا هجرةَ عليه.

القسم الثالث: من تُستحب له ولا تَجبُ عليه.

هذا الشخص يقدر على الهجرة ولكنه في نفس الوقت بين أظهر الكفّار يستطيع أن يُظهر شعائر دينه،

بل له مدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم،

فيستطيع أن يُؤثر في المجتمع،

هل نقول يلزمه أن نهاجر؟

لا، فبعض أهل العلم قالوا: تُستحب له الإقامة، وبعضهم قالوا، تجب عليه الإقامة، طالما أنه له مدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله وجهٌ في التغيير.

ولذلك يقول الشوكاني رحمه الله في السيل الجرار :

إن كانت المصلحةُ العائدةُ على طائفةٍ من المسلمين ظاهرة، كأن يكون له مدخل في بعض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في تعليمه معالم الخير بحيث يكون ذلك راجحاً على هجرته وفراره بدينه فإنه يجب عليه ترك الهجرة رعايةً لهذه المصلحة الراجحة.

إذاً من كلام الشوكاني هنا، هناك مصلحة ولكن هذه المصلحة مصلحةٌ عامة، فهنا يقول " إن كانت المصلحة العائدة على طائفة من المسلمين ظاهرة" فهنا المصلحة عامة.

"وله مدخل في بعض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"

إذاً نحن نقول له: يجب عليك أن تظل في هذه البلد،

لماذا؟

لأنك تستطيع أن تغيّر فيها وتدعو إلى الله جل وعلا مع استطاعتك أن

تُقيم شعائر دينك.

إذاً إذا كانت المصلحة متعدّية وليست شخصية،

فإذا كانت شخصية نقول له يُستحب له الهجرة،

حتى تُكثّر سواد المسلمين ولا تُكثّر سواد الكافرين أو تقع في فتنة من فتنهم.

إذاً هذه الثلاث أنواع من أنواع الهجرة وأحكام الهجرة حسب كل نوع.

هذه الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

فماذا عن العكس؟

أن من أراد أن يهاجر من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر؟

فهل له أن يهاجر؟

أهل العلم يقولون: له أن يهاجر بثلاثة شروط:

فمن أراد أن يذهب إلى بلاد الكفر مثلاً إلى أمريكا، إلى كندا، إلى غيرها، هل نقول له يجوز لك الهجرة بإطلاق؟

أو نقول لا يجوز لك الهجرة بإطلاق؟

الصحيح من كلام أهل العلم أنه **يجوز له الهجرة إليها ولكن بشروط**

عد منها العلماء ثلاثة:

- **الشرط الأول**: أن يكون عنده علمٌ يدفع به الشبهات،

عنده علم يستتر به ويتحصّن به، حتى لا يذهب إلى هناك فتأتيه شبهة، يرجع وقد خسر دينه وباع آخرته بدنيا غيره، كما فعل كثيراً من المُستشرقين، حينما ذهبوا إلى أوربا ورجعوا يتحدثون لنا عن الشوارع الواسعة ونظافة كذا وأمانة الناس، وهذا هو ما رجعوا به لنا.

فذهبوا في البداية ليقولوا أتعلم العلم سواء إذا كان طب أو هندسة أو غيره حتى أرجع بفرض من فروض الكفايات للمسلمين،

فإذا سألته هذا العمر الذي مضى، ماذا وجدت هناك تنقله إلى بلاد المسلمين حتى يتقدمو؟

يقول لك الشوارع واسعة، إشارات المرور الناس تقف فيها بهدوء بدون تحرك!!!

فهل هذه هي المصلحة التي ذهبت من أجلها؟

فيرجع لنا وبعضهم قد انقلب.

انظر إلى قاسم أمين في بداية عمره يكتب كتاب المرأة الشرقية،

يرد به على المُستشرقين ويتكلم عن فضل المرأة الشرقية

والعادات والتقاليد والديانة التي تتمتع بها.

عندما دخل إلى الصالونات مثل صالون الأميرة نازلي وبعدها

سافر إلى الخارج ورجع فكتب كتاب تحرير المرأة.

وكتب في نهايته " وهذا ما أردت كتابته في كتاب تجريد المرأة"

ونسى النقطة، وصدق قلمه وكذبت نيته، أنه قصد تحريرها.

فانظر إلى ذلك أنه لم يكن عنده شبهة أو علم يرد به على

شُبهاتهم.

أنا أقول لك أن كثير من إخواننا الآن قد يجلس أمام أحد

"نافخي الكير" الذين ليس لهم حظٌ من العلم، يُشبّه عليه بشبهة

،

فيأتي فيقول: يا شيخ رد على هذه الشبهة،

وهذا من بني جلدتنا وفي بلادنا،

فتخيّل شُبههم والإفتتان بما عندهم .

فالشبهات سُموم قد تدخل إلى الجسم فتقتله، ولكن هناك

سُم على المدى البعيد وهناك على المدى القريب.

إذاً الشرط الأول أن يكون عنده علمٌ يدفع به الشبهات.

- **الشرط الثاني: أن يكون عنده دينٌ يحميه من الشهوات.**

لأنه سيذهب إلى هناك، وهناك سياسة الهواء الطلق،

كل شيء مباح، ليس هناك أمور مُقيّدة أو محرمة أو تسمع من

يقول لك هذه الأمور حرام، بل الفتن تأتيك إلى دارك وإلى

بابك،

لو لم يكن عندك دينٌ صلب،كيف سترد؟

أنا أقول أن كثيراً من إخواننا الذين سافروا إلى هذه البلاد ومع

ذلك تأثروا، وتغيرت بعض طباعهم وبعضهم وقع في المحرمات

لا أقول الكبائر ولكن وقع، ونزلت درجته بهذا الضغط.

وهناك قاعدة من السنن التي هي موجودة: قاعدة " المحدودية"،

هذا لابد أن تدركها في حياتك، أن كل شيء خلقه الله محدود،

أي له قدرة محدودة.

أنت ديانتك، صلابتك محدودة، قد تكون فعلاً كسيخ الحديد

الكبير،

تعلمون الحديد الذي يتم وضعه في الأعمدة، فأكبر سيخ في هذا العامود هو أكبر سيخ حديد مُتعارف عليه، ولكن المهندس يقول لك أن هذا العامود لا يتحمل فوقه أكثر من كذا كيلو يستطيع أن يحمله، فلو زاد الحمل؟

يقع حتى ولو أنه حديد.

الإنسان كذلك، له حجم وامتلاء وقوة،

إذا حدث عنده ضغط خارجي، ولم يكن عنده صلابة قادرة على دفع هذا الضغط فإنه يستجيب لهذه الأمور.

- **الشرط الثالث:أن يكون مُحتاجًا إلى ذلك.**

والاحتياج بأن يكون مريضاً، أن يكون المسلمون قد اختاروه لكي يذهب في مهمة لسد فرض من فروض الكفاية لا يقوم غيره بها،

فلابد من هذه الشروط حتى نبيح له السفر إلى هناك.

والذين يتحدثون عن نظافة الغرب ونظافة الشوارع، أقول هذا

موجود والذي ينكره جاحد، ولكن لا نُنكر أبداً قول الله جل وعلا { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} [التوبة :٢٨]

فنجاسة العقيدة أشد ألماً على المؤمنين من نجاسة الأرض وغيرها،

وليس هذه مدعاة إلى أن نترك شوارعنا نحن بغير نظافة!!

أبداً، إنما الصحيح أن تكون نظيفة وأن تُنظّف العقائد أيضاً مما قد يرى.

يقول النبي ﷺ (ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)

النبي ﷺ خصّ المرأة بالذكر، والمرأة من الدنيا.

والنبي ﷺ يقول ""الدُّنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِ الدُّنيا المرأةُ الصَّالحةُ"

[الراوي: عبدالله بن عمرو المحدث: مسلم – المصدر: صحيح مسلم – الصفحة أو الرقم: ١٤٦٧ خلاصة حكم المحدث: صحيح]

فلماذا خصّها؟

لأن النبي ﷺ ذكر أنه ""ما تَركتُ بَعدي فِتنَةً أضرَّ على الرجالِ منَ النساءِ"

الراوي:أسامة بن زيدالمحدث:البخاري – المصدر:صحيح البخاري– الصفحة أو

الرقم:٥٠٩٦ خلاصة حكم المحدث:[صحيح]

فنبه بهذا الأمر، أنه انتبه أن فتنة النساء أشد على هذه الأمة من فتنة المال وغيرها من الفتن.

وإن كانت الدنيا كلها تحتاج إلى أن تتريث، وأن تأخذ منها بنصيبك وعلى قدرك ولا تتسع فيحصل لك الطغيان.

بعض أهل العلم يقول أن هذا تلويح بذكر سبب الحديث،

وبعضهم يذكر سبباً له هو أن امرأة هاجرت وأراد رجلٌ أن ينكحها

فقالت لا أنكحك حتى تُهاجر، وكانت اسمها أم قيس،

فسُمي بمُهاجر أم قيس.

ولكن كل روايات الحديث ليس فيها ذكر لهذه القصة،

إنما هي قصةٌ أخرى في سياق آخر، وعليه فإن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

قال النبي ﷺ فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ فهنا لم يقل فهجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، وذلك تحقيراً لشأن هذه الهجرة،

أو لأن الإنسان في هذه الدنيا قد تتشتت به المطالب،

فالمطالب كثيرة، فيريد مالاً، يريد زوجة،

يريد لعباً، يريد لهواً، فمطالبه كثيرة، فأتي بلفظ التنكير لإفادة عموم ما قد يصيبه الإنسان، كما قال تعالى {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}[الليل : ٤]

إن شاء الله يتبقى لنا مسألة فقط

نُرجأها إلى الدرس القادم

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحمداً عبده ورسوله.